

الفصل الخامس

الدولة الـاـكـديـة

الـاـكـديـون (١)

لاحظنا من خلال دراستنا لعصور فجر السلالات ان السيادة السياسية كانت بيد السومريين وان البلاد كان يغلب عليها التجزئة السياسية التي تمثلت بالعديد من دواليات المدن . ويمكن القول ان رقعة النفوذ السياسي لتلك الدوليات كانت تمتد من اقصى جنوبى القطر الى جنوب مدينة كيش (تل الاحمر حاليا) والتي اطلق عليها السومريون انفسهم اسم (بلاد سومر) .

وقد رأينا ايضاً كيف ان السومريين استطاعوا في عصور فجر السلالات من وضع اللبنة الاولى لاقامة حضارة عريقة في هذه المنطقة من وادى الرافدين ، عندما توصلوا ، ضمن اشياء اخرى كثيرة ، الى اختراع الكتابة كوسيلة للتداين ، وابدوا في الفنون كصناعة الاختام الاسطوانية والتماثيل والدمى والحلب الفضية والذهبية ، وفي فن العمارة كبناء المعابد والزورات العالية . واليهم يعود الفضل ايضاً في وضع وبلورة المعتقدات الدينية وكثير من الافكار التي تتعلق بخلق الكون والانسان وبالمفاهيم والنظم السياسية والاجتماعية والقانونية .

غير ان سيادة السومريين على البلاد والمتمثلة ، كما قلنا بدواليات المدن ، انتهت على يد زعيم اسمه سرجون الذي استطاع فرض سلطنته على البلاد وتوحيد دوليات المدن ومن ثم اقامة امبراطورية واسعة الارجاء عرفت بالامبراطورية الـاـكـديـة نسبة الى مدينة اـكـدـةـ التي اـتـخـدـهاـ عاصمةـ لهـ . والـاـكـديـونـ الذينـ تـرـعـمـهـمـ

(١) عن خلاصة تاريخ الـاـكـديـينـ راجـعـ :

G. Roux , Iraq (١٩٦٦)

Saggs , The Greatness that was Badylon (١٩٦٢)

سرجون في اقامة الامبراطورية الجديدة هم من قبائل الجزيرة العربية التي استوطنت في بلاد بابل في عصر مبكر جدا ربما منذ الالف الرابع ق . م وقد عاش هؤلاء جنبا الى جنب مع السومريين وتفاعلوا معهم قبل ان يستطيعوا الاستيلاء على دفة الحكم .

وخلالا للسومريين الذين مايزال اصولهم واصل لغتهم مجهلين لحد الان ، فان الاكديين يمثلون واحدة من اقدم هجرات قبائل الجزيرة الى وادي الرافدين كما ان لغتهم تعود في اصولها الى عائلة لغات الجزيرة التي تفرعت الى فروع منها الاكادية والبابلية والاشورية والعربية والارامية) وهي تسمى باللغات السامية واجع القسم الثاني من الفصل الثاني .

ومن العجيز بالذكر اننا نهمل في دراستنا الحالية المصطلح المتداول « الساميون » الذي لم يستند الى اساس تاريخي مقبول كما اشرنا الى ذلك عند حديثنا عن السكان الاصليين لبلاد وادي الرافدين . وسوف نستعمل بدلا منه « قبائل الجزيرة » او « الجزيريين » للإشارة الى تلك القبائل التي كان موطنها الاصلي جزيرة العرب والتي كانت تتكلم لغات اول لهجات تعود في اصولها الى لغة واحدة هي لغة الجزيرة ، والتي كانت ايضا تتشابه الى جانب ذلك بجملة صفات مثل السمات التاريخية والحياة المعاشرة والاعراف والتقاليد والقوانين وفي المعتقدات الدينية .

اما المنطقة التي كانت تستوطنها القبائل المتحركة بلغة الجزيرة فانها كانت تشمل في العصور التاريخية القديمة جزيرة العرب واطرافها الشمالية كالصحراء السورية وما يعرف بالهلال الخصيب . وقد اضطررت هذه القبائل لاسباب مختلفة وفي فترات زمنية مختلفة ايضا الى هجرة مواطن استيطانها والى التزوح ثم الاستقرار في المناطق المتحضره من بلاد وادي الرافدين والاراضي السورية الفلسطينية .

ومما تجدر ملاحظته اننا عندما نتكلم عن قبائل الجزيرة فاننا لانعني بطبيعة الحال انها كانت تستوطن المناطق الصحراوية الجرداء . بل على العكس من ذلك

فإن تلك القبائل كانت تتنقل في بوادي الهلال الخصيب وفي اطراف الجزير العربية طلباً للمراعي . ولنا ان نتصور بان حركتها في التنقل كانت بطبيعة قبل ظهور الجمل في المنطقة في القرن الثاني عشر ق . م . ولاشك في ان القبائل البدوية كانت على اتصال دائم بالقرى الزراعية والمدن المتحضرة المجاورة حيث كانوا يتزودون منها بين حين وآخر بالحبوب والتمور والادوات وحتى السلاح . ويحصل احياناً ان يستوطن عدد من الافراد او عائلة وحتى قبيله برمته في قرية او مدينة فتمتهن الزراعة وتربية الاغنام والماشية . وهناك شواهد تاريخية كثيرة على ان القبائل البدوية هذه كانت تشكل احياناً خطرًا على السلطات الحاكمة في المدن وكثيراً ما تسمع ان قبيلة معينة او حلفاً من قبائل عديدة هاجمت المدن المتحضرة ونجحت في الاستيلاء عليها واستيطانها .

وبقدر ما يتعلق الامر بوادي الرافدين فان هناك من الادلة الكتابية ما يشير الى ان قبائل الجزيرة كانت موجودة في العراق في عصر مبكر جداً . فهناك اسماء اعلام وردت في وثائق عصر فجر السلالات تدل بصورة واضحة على ان اصحابها كانوا اجزيريين اي من غير السومريين ، كما اشر على بعض من النصوص دونت باللغة الakkدية . ويستدل من التوزيع الجغرافي للموقع الاثرية التي وجدت فيها هذه الاسماء على ان الakkديين كانوا يتشارون في منطقة واسعة نسبياً ، وأنهم وأن كانوا اقليلين بالنسبة للسومريين في الجنوب ، لكنهم كانوا يتمتعون بالقوة والنفوذ خاصة في المنطقة التي كانت ضمن حدود دویلة کيش ، وقدرأينا كيف ان عدداً من ملوك هذه الدویلة التي قامت فيها اول سلاله حاكمة بعد الطوفان مباشرة ، كانوا يحملون اسماء جزيرية (عربية قديمة) .

ويتبين من النصوص المسماوية ايضاً ان هؤلاء الجزريريين كانوا يؤلفون الجزء الاكبر من سكان شمالي القطر . ومن المعروف ان الاقسام الوسطي من وادي الرافدين ابتداء من مدينة تفر في الجنوب وحتى خط هيت - سامراء شمالاً اصاحت تسمى «بلاد اك» منذ زمن سرجون الakkدي والازمان اللاحقة ولذلك فربما كان

باستطاعتنا ان نطلق تسمية «الاكديين» على اقدم قبائل الجزيرة التي استوطنت في وادي الرافدين .

من المعروف ان هؤلاء الاكديين كانوا يتكلمون باللغة الاكدية التي هي فرع من فروع لغة الجزيرة الام ، وانهم استخدموها في كتابتها || خط المسماوي الذي كان قد استنبطه السومريون من قبل ، ثم ان وجود الاكديين جنبا الى جنب مع السومريين ادى الى تأثيرهم بالحضارة السومرية . ففي نطاق اللغة استعار الاكديون كثيرا من الكلمات والمفردات السومرية كما يجد الباحث ايضا ان هناك عددا من المفردات في اللغة السومرية ذات اصل اكدي . وعلى غرار السومريين فقد استوطن الاكديون القرى والمدن ومارسوا الزراعة وشئ صنوف الحرف كما انهم مارسوا المعتقدات والطقوس الدينية التي زاولها السومريون . وهناك حقيقة واضحة لدى الباحثين في تاريخ حضارة وادي الرافدين وهي اننا اذا ما استثنينا الجانب اللغوي فان والسومريين والاکديين انصهروا في بوتقة حضارة اصيلة واحدة حتى اصبح من الصعب على المرء ان يميز بين ما هو سومري الاصل او ما هو اکدي .

سرجون الأكدي مؤسس الامبراطورية

(م . ق ٢٣٧١ - ٢٣١٦)

بدأ سرجون الأكدي حياته في خدمة « اور - زبابا » أحد ملوك سلالة كيش الرابعة حيث شغل وظيفة مراق في بلاط هذا الملك . وتبقى الظروف غامضة عن كيفية استطاعته من الاستيلاء على الحكم . ومن الطريف ان أحد النصوص الكتابية المتأخرة يذكر بهذا الصدد ان اور - زبابا امر ساقيه سرجون بان « يغير جرابة المشراب المخصصة لعبد ايساك ايلا » في مدينة بابل . غير ان الاخير لم يفعل ذلك فنال حظوة عند الله المدينة العظيم مردوخ الذي جعله سيدا للبلاد وللعالم كله بدلا اور - زبابا . وعلى اية حال ينبغي علينا ان نلاحظ ان سلالة كيش استمرت في الحكم بعد اور زبابا حيث خلفه خمسة ملوك في الحكم . ولذلك يبدو ان سرجون الأكدي في هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية كان مجرد مناوئ للسلطة الحاكمة في كيش وانه لم يقدم بعد على الانقضاض عليها واسقاطها .

لقد وصلنا نص مسماري دون في عصر متأخر نسبيا يتعلق بقضية مولد المؤسس سرجون ، يصف على لسانه كيف ان امه كانت كاهنة عظمى وانه « لا يعرف اباه » ولذلك اضطررت امه الى ان ترميه في النهر فانتشله بستاني اسمه اكي الذي رباه وعلمه فنون البستنة وان الالهة عشتار اعجبت به فمنحته ملكية البلاد .

يقول سرجون في هذا النص عن نفسه ما ياتي : (١)
انا سرجون الملك العظيم ، ملك بلاد اكد
كان امي كاهنة عظمى « انتو » (في الاكديه) وانا لا اعرف ابي .

(١) انظر ترجمة النص الاصلية في :
hcienz Near Eastern Texts (1969)

كان شقيق أبي يحب الجبال
ومدينتي كانت أزو بيرافو (Azupiranu) (الزعفان)
التي تقع على الفرات

لقد حملت بي أمي وولدتني سرًا
ووضعتني في سلة من البردي ختمت غطاءها بالقبر
ومن ثم رمتني في النهر الذي لم يغرقني
فحملني النهر وأخذني إلى الساقي أكي (Aki)
فأخذني الساقي أكي ابن الله
وجعلني الساقي أكي بستانيا عنده
وعندما كنت بستانيا منحتني عشتار حبها
فاضطاعت بمهمة الملكية أربعاء سنة
لقد أست؟ وحكمت ذوى الرؤوس السود
وقهرت الجبال الشاهقة بفتوس قاطعة من البرونز
تسلقت القمم العليا
وعبرت القمم السفلی
وطوفت حول بلدان البحر ثلاث مرات
واستولت يدأى على دلون
... وغيرت ...
فأى كان الملك من بعدي
فعسي أن يسوس ويحكم ذوى الرؤوس السود
ويقهر الجبال الشاهقة بفتوس من البرونز قاطعة
ويسلق القمم العليا
ويعبر القمم السفلی
ويطوف حول بلاد البحر ثلاث مرات

(وتسنوى يداه على دلمون)
ويقصد مدينة الدير العظيمة
... من مدینتی اکد ...

يعتبر سرجون الـاکدی بحق واحدا من اعاظم القادة في التاريخ القديم لأنجازاته العظيمة في الميادين العسكرية والحضارية المختلفة . و اول ما قام به كان هجوم على مدينة الورقاء و دحره ملكها لوکال زاکیزی، الذي جيئ به اسيرا الى معبد الاله انزيل في مدينة نفر . و نفهم من النصوص المسماوية التي تروى اخبار هذا الملك انه استولى بعد ذلك على مدن مهمة أخرى مثل اور و اکش و او ما و أنه اتبع سياسة تدمير اسوار المدن من أجل القضاء على مراكز تجمع المأوثين لسلطته كما انه اقدم على حجز بعض عوائل الحكام المأوثين له كرهينة في العاصمة اکسد

وقد استطاع سرجون في غضون فترة قصيرة بسط نفوذه على كل بلاد سومر حتى ان احد النصوص المسماوية يلمح الى ذلك بقول مأثور « انه (اي سرجون) غسل سلاحه في مياه البحر البسفلي » اي في مياه الخليج العربي . و يذكر نص مسماري اخر عن اعمال سرجون العسكرية وعن انتصاراته على المدن السومرية ، انه خاض ثلاثة واربعين معركة و بت نتيجة لذلك صارت « سفن ملوخا ، و سفن دلمون » ترسو . في المرفأ امام مدينة اکد . و بتعبير اخر انه استطاع من احكام سيطرته على الخليج العربي واصبح بمقدوره الحصول على المنتوجات الآتية عن طريق وجدير بالذكر ان كتابات سرجون كانت تشير الى هذه المناطق المذكورة باعتبارها جزءا من الامبراطورية الـاکدية كما يتضح ذلك من بعض الاشارات في قصة مولده السالفة الذكر وفي القائمة الجغرافية الخاصة بالموقع التي شملتها فتوحاته العسكرية .

اتخذ سرجون عاصمة جديدة له عرفت بمدينة اکد ، وهي العاصمة الوحيدة بين عواصم العراق القديم ، التي مايزال موقعها غير معروف لحد الان .

وقد بني سرجون في هذه العاصمة الجديدة ، كما تشير الى ذلك كتاباته ، معبدا لالله عشتار التي ادعى بانها هي التي منحته الحكم ، كما انه اقام معبدا الى الاله زبابا الله الحرب لمدينة كيش . وبطبيعة الحال اصبحت اللغة الakkدية لغة البلاد الرسمية كما ان حكام المدن كانوا من الاكديين ايضا .

وبعد النصر الساحق الذي حققه على المدن السومرية اتجه سرجون الakkدي بفتحاته باتجاهين او لهما غربا والآخر شرقا .

ففي الغرب تذكر التصوص المسمارية من عصره انه استولى على مدينة ايتور (هيث) وماري (تل الحريري) وعلى غابات الارز جبال (امانوس) وجبال الفضة (جبال طوروس) ويارموي وابلار (في شمال سوريا) .

ومن هذا يتضح ان سرجون استطاع ان يفرض سيطرته على مناطق الفرات وعلى شمال سوريا . ويدرك نص مسماري اخر عشر عليه في تل العمارة عنوانه « ملك المعركة » ان سرجون الakkدي وصل الى مدينة بورش خندا في اواسط اسية الصغرى متصررا الجماعة من التجار اصحابهم الظلم على يد احد الحكام هناك فاسرع سرجون لتجذبهم ، علما بان نوع العلاقة التي كانت تربط اولئك التجار بسرجون ما زالت غير معروفة .

والراجح ان المناطق الشمالية في القطر والتي عرفت فيما بعد ببلاد اشور كانت قد شملتها فتوحات سرجون . فهناك ادلة على ان مديتها نينوى واش ور كانتا ضمن حدود الامبراطورية في زمن خلفاء سرجون . ومن المحتمل ان الاستيلاء عليها قد تم في زمن سرجون نفسه . كما تدل التصوص الكتابية على وجود نسبة كبيرة من اسماء الاعلام الakkدية بين سكان مدينة نينوى في هذا الوقت ثم ان العثور على تماثيل حجرية في الطبقات السفلی من معبد عشتار في نينوى تعود الى العصر الakkدي ربما يشير الى انها كانت بمثابة شواهد تذكارية لطبقة حاكمة

عينها الملوك الاكديون هناك . وانه اكتشاف الراس البرونزى المعروف في نينوى والذى ارجع تاريخه الى العصر الاكدى ، على اساس اسلوب صناعته ، ربما كان يعود الى احد الملوك الاكديين . ويرجع ان يكون سرجون او حفيده الشهير « فرام - سين » .

اما فتوحات سرجون الاخرى فقد كانت في المناطق الجبلية والشرقية والشمالية الشرقية من بلاد وادي الراfeldin . وقد وصلتنا تفاصيل جيدة عنها في كتابات الملك سرجون نفسه وفي نصوص متأخرة ايضا . اذ تذكر كتاباته انه لاقى جيوش اربعة حكام بقيادة ملك مدينة (اوان) الواقعه في جنوب غرب ايران وانه استطاع دحر همهم وقتل قائدتهم . كما انه استولى على بلاد عيلام وعین عليهما حاكما (انسى) تابعا له . وكان من نتائج سيطرته على بلاد عيلام والاقاليم الاخرى من ايران ان تدفقت ثروات كبيرة على بلاد اكد ، وان هذا الامتداد الواسع للامبراطورية الاكدية وفي اتجاهات متعددة كان قد عبر عنه سرجون الاكدى نفسه في احد نصوصه عندما قال « والآن فاي كان الملك الذي يدعى انه نظير لي فليصل الى حيث وصلت انا » .

خلفاء سرجون :

خلف سرجون ابنه ريموش الذي حكم تسعة سنوات وجاء من بعده اخوه الآخر المسمى مانشتوسو الذي حكم ثلاثة عشرة سنة . ويبدو من قائمة الملوك ان الاخير كان الابن الاكبر لسرجون . وعلى ايته حال فقد بدأ الاخوان حياتهما في ممارسة شؤون الحكم في زمن ابيهما سرجون حيث شاركا في قمع الثورات التي قامت في البلاد .

ويعتبر « فرام - سين » (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق . م) بحق ثاني اشهر ملوك هذه السلالة العظيمه وواحداً من الشخصيات البارزة في تاريخ العراق القديم . وقد بقي حكمه الطويل (سبع وثلاثون سنة) مزدهراً حتى نهايته .